التداعيات الأمنية الإقليمية طويلة المدى للتصعيد الإسرائيلي الإيراني

مركز الخليج للدراسات الاستراتيجية

في أبريل ٢٠٢٤ تصاعدت التوترات بين «إيران»، و«إسرائيل»، والتي بدأت بغارة جوية عدوانية للأخيرة على مجمع دبلوماسي إيراني في دمشق، أعقبه رد طهران عبر إطلاق حوالي ٣٠٠ مسيرة مسلحة وصاروخًا على إسرائيل، ثم رد الأخيرة بهجوم صاروخي بالقرب من منشأة نووية إيرانية بأصفهان في ١٩ أبريل؛ الأمر الذي أثار قلقًا كبيرًا بين المراقبين الغربيين من مخاوف الانزلاق إلى صراع إقليمي كبير.

وعلى الرغم من أن الهدوء الذي أعقب تلك الأحداث، قد أقنع العديد من المعلقين بتدارك مخاطر التصعيد على المدى القصير على الأقل؛ إلا أنه تم الاعتراف بأن التداعيات طويلة المدى لهذه الأزمة تحمل تأثيرا عميقا سيستمر على الديناميكيات الأمنية بالمنطقة. وأعلن «بول سالم»، من «معهد الشرق الأوسط»، أن التصعيد قد دشن «حقبة جديدة» في المنطقة؛ حيث أظهرت كل من إسرائيل وإيران، ليس فقط قدراتهما العسكرية، ولكن أيضًا إرادتهما السياسية لتنفيذ هجمات عدوانية مباشرة ضد أراضي كل منهما.

وفي حين وصف «إيمي ماكينون»، و«كريستينا لو»، في مجلة «فورين بوليسي»، الرد الإسرائيلي على الهجمات الصاروخية الإيرانية السابقة بـ«الانتقام المحدود»، فقد اعتبره «جوناثان بانيكوف»، من «المجلس الأطلسي»، «كاف لإغلاق هذا الفصل من الضربات المتبادلة»، وفي حالة التصعيد المستقبلي، فإن الباب مفتوح بقوة لهجمات جوية وصاروخية مباشرة بين الطرفين، ليس فقط بين الوكلاء كما جرى احتواؤه عادة في الماضي. وأشار «رافائيل كوهين»، من «مؤسسة راند» إلى كيفية بقاء حكومات الدول «في وضعية الحرب»، التي تشير إلى التصعيد على الرغم من دعوات التهدئة من قبل حلفاء الجانبين، وهو ما يبين انقلاب الديناميكيات الأمنية الأساسية في الشرق الأوسط رأساً على عقب.

وفي أعقاب الهجمات والعمليات الانتقامية بين البلدين، تزايدت احتمالات وقوع تداعيات إقليمية بشكل كبير. وحذرت «سوزان مالوني»، من «معهد بروكينجز»، من إثارة التداعيات الإقليمية المحتملة قلقًا كبيرًا من أن يجلب الصراع «سلسلة من العواقب المدمرة على المنطقة والعالم». وبهذا المعنى، فإن طبيعة الهجوم الإسرائيلي على الأراضي الإيرانية في ١٩ أبريل، والذي ذكرت كل من «ماكينون»، و«لو»، أنه «نُفذ بمسيرات صغيرة»، و«استهدف إظهار قدرة إسرائيل على ضرب قلب إيران»؛ إلا أن تنفيذه خرج أيضًا بهذا الشكل لتجنب تأجيج المزيد من الإجراءات التصعيدية.

وتعليقا على ذلك، رأى «علي فايز»، من «مجموعة الأزمات الدولية»، أن هذا الهجوم «يقع ضمن نطاق المناورات السرية»، ويتعارض مع سلسلة من الضربات الأوسع التي أوضح «رونين بيرجمان»، و«باتريك كينسلي»، في صحيفة «نيويورك تايمز»، أن إسرائيل «تخلت عنها» بعد ضغوط دبلوماسية مارسها حلفاؤها الغربيون، أهمهم الولايات المتحدة. وعليه، أشار إلى أن هذا يمنح إيران «القدرة» على «استيعاب» الضربة الإسرائيلية ضد أراضيها، «دون الشعور بالحاجة إلى رد انتقامي» من جانبها.

ومع ذلك، أوضح «أليكس فاتانكا»، من «معهد الشرق الأوسط»، أنه مثلما أظهر هجوم إيران ضد إسرائيل قدرتها على توجيه ضربات مباشرة ضد منافسها الإقليمي الرئيسي؛ فقد أظهر رد الأخيرة ووصول عملياتها العسكرية إلى داخل الأراضي الإيرانية مدى استعدادها للتعامل مع أي هجمات عسكرية مستقبلية.

ومن وجهة نظر «بيث سانر»، من «المجلس الأطلسي»، فإن حقيقة قيام كلا البلدين بعد سنوات عديدة، بمهاجمة بعضهما البعض عسكريًا بشكل مباشر؛ قد أشارت بشكل لا يمكن إنكاره إلى «حرب الظل» القديمة بين الطرفين. وأوضح «مالوني»، أنه في حين أن انخراطهما في الأعمال السرية يزيد على ٤٠ عامًا، فقد احتفظت هذه المناوشات بـ«حدود محددة بوضوح»؛ لتفادي أي «هجوم مباشر»، خوفًا من إثارة صراع أوسع على مستوى المنطقة من شأنه جذب قوى خارجية.

وتشكل الدوافع وراء الأعمال التصعيدية لكلا البلدين خلال الأسابيع الأخيرة، و«حرب الظل» الطويلة المدى في العقود السابقة؛ «خطرًا بالغًا» على التوازن الأمني الإقليمي الجديد في المستقبل، وكما أوضح «كوهين»، فإن «الدافع الأساسي»، وراء الضربة الإسرائيلية في ١٩ أبريل، كان «الانتقام» من هجوم طهران عليها. وعلى الرغم من أن وابل الصواريخ والمسيرات «لم يُخلف الكثير من الضرر»، فقد رأى «سالم»، أنه زاد من «قلق القادة الإسرائيليين على المدى الطويل»، بشأن القدرة العسكرية لطهران على ضربهم، ومن ثمّ، أشار «بانيكوف»، إلى أنه «ليس هناك شك في أن إسرائيل أو إيران» سوف «تنتقم من أي هجوم على أراضيهما، بغض النظر عن مدى ضآلة الضرر الذي يحدث»، أو «مدى مناشدة حلفائهما بعدم الرد».

علاوة على ذلك، تم التأكيد في هذا السياق على أهمية التقدم المستمر للبرنامج النووي الإيراني. وأشار «سالم»، إلى قدرة طهران الواضحة على ضرب إسرائيل، خاصة مع إمكانية حصولها على أسلحة نووية في المستقبل القريب، وفي المقابل، أوضح «بانيكوف»، إلى أن الهجوم الإسرائيلي، بالقرب من مركز أصفهان للتكنولوجيا النووية ومنشأة رئيسية لتحويل اليورانيوم، كان يحمل رسالة لطهران، بالقدرة على استهداف منشآتها النووية بنجاح.

ومع قيام إسرائيل بتنفيذ ضربة مباشرة على إيران، واستمرار برنامج طهران النووي في التطور، لابد من الأخذ في الاعتبار أيضا الضغوط الداخلية المفروضة على الحكومة الإسرائيلية للمضي قدما. وفي حين أكد «كوهين»، أن نتنياهو «رجل يائس»، يسعى إلى إطالة أمد المواجهة بين إسرائيل وإيران حتى يتمكن من الاحتفاظ بزمام السلطة لفترة أطول، فقد رأى أن «الدفع الإسرائيلي للانتقام لا يأتي فقط من إسرائيل»، مستشهدا بدعوة عضو مجلس الوزراء والمنافس السياسي لنتنياهو «بيني غانتس»، إلى شن هجوم مسلح فوري على إيران. وانتقد «إيتمار بن غفير»، وزير الأمن القومي الإسرائيلي المتطرف الضربة الإسرائيلية في إيران ووصفها بأنها انتقام «ضعيف». ومع ذلك، فإن ٧٤% من الإسرائيليين ممن استطلعت الجامعة العبرية آراءهم، أكدوا أنه كان ينبغي عدم الرد على طهران، لما يحمله ذلك من مخاطر على أمنها وعلاقاتها مع حلفائها.

ومع وجود متطرفين، مثل «بن غفير»، يتمتعون بنفوذ رئيسي على سياسات إسرائيل تجاه جيرانها وخصومها، كما يتضح من الطريقة التي لاحظ بها «مالوني»، «الحرب الشاملة التي تخوضها في غزة»، فقد حذرت «سانر»، من أن «الجولة التالية من التصعيد» من جانب إسرائيل، سواء مع إيران أو أحد وكلائها الإقليميين «قد لا تكون غدا»، لكنها على الأرجح ستأتي «في الوقت والمكان الذي تختاره إسرائيل».

وفي سياق التوترات الحالية بين البلدين، وعدم الاستقرار الإقليمي الناشئ عن احتمالات التصعيد بينهما؛ أشار «مالوني»، إلى أن الولايات المتحدة، ستكون من بين أولئك الذين يأملون بشدة أن يسود «الهدوء». وعلى الرغم من تصريح «واشنطن»، أنه «ليس لديها خيار» سوى نشر «مواردها الدبلوماسية والعسكرية، لمساعدة إسرائيل؛ فمن المسلم به أيضًا أنها لديها «رغبة قليلة في معالجة أزمة أخرى»، خاصة في الأشهر التي تسبق الانتخابات الرئاسية الأمريكية في نوفمبر».

ومع تردد أخبار عن طلب «بايدن»، من «نتنياهو»، «إعلان النصر»، بعد أن تم اعتراض مسيرات وصواريخ إيران بمساعدة الدول الغربية، فإن إمكانية قيام «واشنطن»، بدور الوساطة الفعال، وتهدئة التوترات الإقليمية أو استعادة الاستقرار، هو أمر مشكوك فيه.

ومن وجهة نظر «ستيفن سايمون»، من «جامعة واشنطن»، فإن المشاركة الأمريكية، أو الغربية الأوسع في وقف التصعيد بين البلدين، ستكون دائمًا «محدودة»؛ كون مثل هذا التدخل بالمنطقة، متوقف نجاحه على «قدرة الخصوم الإقليميين على مساعد أمريكا، وامتلاك الأخيرة نفسها استراتيجية فعالة». وفي حالة التوترات الحالية لا يتم استيفاء أي من هذه الشروط. ومع تأكيد «كوهين»، على أنه «طالما ظلت إسرائيل وإيران منخرطتين في الصراع، فسوف تستمران في تبادل الضربات بغض النظر عما قد تنصح به الولايات المتحدة وغيرها من الحلفاء لتلافي التصعيد».

وعلى الرغم من أن بعض المراقبين الغربيين أوضحوا أن الرد الإيراني على الهجوم الإسرائيلي في ١٩ أبريل ليس متوقعا -على الأقل فيما يتعلق بضربة مباشرة – فمن المسلم به بقاء التوازن الأمني الإقليمي محفوفاً بالمخاطر على المدى القصير، فضلا عن تغير الديناميكيات على المدى الطويل. ووفقًا لـ«فاتانكا»، لا تزال البلدان في «مرحلة بث رسائل خطيرة للغاية»، حيث «تُظهر كل منهما القدرة على ضرب الأخرى»، بما يجعل حدوث تهدئة للتوترات الإقليمية، «أمرا غير مُرجح» في الوقت الحالي.

على العموم، بالنظر إلى المستقبل، فإنه مع تحذير «فايز»، أنه «لا يزال من المتوقع أن تخطئ كل من إيران، وإسرائيل، في حساباتهما ويتجاوزان الخطوط الحمراء الجديدة الغامضة عن عمد أو عن غير قصد لهذا الصراع؛ فقد حذر «جريجوري برو»، من مجموعة «أوراسيا»، من أنه حتى لو نجحت المنطقة في تجنب المزيد من التصعيد في هذه المرحلة؛ فإننا ننتقل إلى توازن جديد أكثر توترا وغير مستقر».

ويبقى هذا التحول في الديناميكيات الأمنية -الناجم عن قيام البلدين بشن

هجمات مباشرة ضد بعضهما، عقب عقود من «حرب الظل» بينهما بالوكالة – لا يُمكن التقليل من تداعياته، ودوره في صياغة مشهد إقليمي أقل توازنًا، وأكثر خطورة.

الرؤية ٢٠٣٠ ومحور طموحات المجتمع

بقلم:
محمد عيسى الكويتي

تناولت الرؤية ٢٠٣٠ ثلاثة محاور هي الطموحات الاقتصادية والطموحات الاجتماعية والطموحات الحكومية. في مقالاتنا السابقة (١٣-٢٣ مارس ٢٠٢٤ و١٣ أبريل ٢٠٢٤ أخبار الخليج) تناولنا الأهداف الرئيسية والطموحات الاقتصادية. في هذا المقال سوف نتناول الطموحات الاجتماعية، ونرى كيف تعاملت الرؤية معها وما النتائج التي تحققت وكيف تم متابعتها.

قبل أن نناقش محور الطموحات الاجتماعية لا بد أن نذكر أن الرؤية وضعت شرطين للنجاح في الثلاثة محاور، الأول ينص على أن «الإسراع في وتيرة تنفيذ الإصلاحات، من أجل الاستفادة من الفرص العديدة التي تتيحها معدلات النمو الإقليمي العالية، فالسرعة التي نعمل بها ليست كافية لمجاراة الآخرين وليست كافية لتحقيق التميُّز». هذا يطرح السؤال إلى أي مدى غيرت الرؤية من السرعة لمجاراة الآخرين خلال السنوات الماضية؟ وماذا كانت النتائج وكيف قيمناها وتابعناها؟ وما التحديات التي ما زالت تتطلب مزيدا من الجهد؟ أما الشرط الثاني فهو أن الرؤية نصت بالتأكيد على «الحاجة إلى إصلاحات متكاملة». نفهم من التكامل في الإصلاحات أن تشمل جميع جوانب الحياة وأبعادها المؤسسية والهيكلية على جميع المستويات والأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية. وهذا توجه سليم وأساسي يستدعي أن نتابع نتائجه التي أثرت في تحقيق الأهداف وتحسين جودة الحياة. وأن تَبُنى رؤية ٢٠٥٠ على هذه النتائج. ويمكن أن نرى العفو الملكي السامي في هذا السياق، كونه بادرة مهمة وحكيمة في طريق الرؤية ٢٠٥٠.

فيما يتعلق بمحور «طموحات المجتمع» فإن الرؤية تسعى إلى خلق مجتمع يقوم على الجدارة والموهبة ووضعت لذلك ثلاثة أهداف تنبثق من الغاية «خلق مجتمع عادل ومزدهر ومتكاتف». الهدف الأول ينص على «مستوى عالٍ من المساعدات الاجتماعية يعطي جميع البحرينيين فرصا متكافئة». والهدف الثاني يتعلق «بتقديم رعاية صحية عالية الجودة مع فرصة الاختيار بين أكثر من جهة، ومراقبة الآثار الناجمة عن الزيادة السكانية»، والهدف الثالث يتعلق «بتوفير أعلى مستوى ممكن من التعليم يمكن الطلبة من الحصول على المهارات المطلوبة لتحقيق طموحاتهم». تشترك هذه الأهداف الثلاثة في خلق مجتمع يقوم على الجدارة والموهبة. ركز المجال الاجتماعي على ثلاثة جوانب هي التعليم والصحة والضمان الاجتماعي.

وهذه جوانب مهمة لبناء رأس المال البشري، غير أنها بحاجة إلى زيادة الحديث عن رفع مستوى المعيشة بشكل أكبر لتحقيق رأس مال اجتماعي يكرس ويعزز الثقة في المجتمع ويرفع القدرة على الإنتاج والابتكار والإبداع ويفتح مجالا أكبر لزيادة المشاريع الريادية. تتفرع هذه الأهداف إلى ثلاثة مستهدفات تتلخص في تأمين الرعاية الأساسية، تأمين المساواة، وضمان فرص متكافئة لجميع البحرينيين. وفق الرؤية تتحقق هذه المستهدفات من خلال الدعم الإسكاني لمن هم في أمس الحاجة إليها، دعم المواهب وتنميتها في جميع المراحل التعليمية، وتشجيع التبرعات في الأوجه الخيرية. وضعت الرؤية مؤشر أداء لهذا الهدف هو «نسبة الأسر التي يزيد دخلها على الحد الأدنى للدخل» الذي تحدد في ذلك الوقت بـ ٣٣٦ دينارا، ونرى أن هناك حاجة إلى مؤشرات أخرى لتقييم باقي المستهدفات بما يتناسب مع تطلعات الدولة والمجتمع. في الرؤية ٢٠٥٠ سيكون من المجدي وضع مؤشرات لقياس جميع المستهدفات السابقة واللاحقة وأهمها تكافؤ الفرص والمساواة ومستوى المعيشة ومدى تقدمنا فيها. فمثلا من بين المبادرات التي وُضعت في ٢٠٣٠ هي دعم المواهب وتنميتها في جميع المراحل التعليمية، غير أن الرؤية لم توضح كيف سيتم تقييم هذا الدعم وتنميته.

اليوم وبعد ١٥ سنة هناك مستجدات على المشهد الاجتماعي يتطلب إعادة النظر في بعض من هذه الأهداف. فمثلا ارتفعت وتيرة الخصخصة في التعليم والصحة، فما هو تأثيرها على تكافؤ الفرص والمساواة في المجتمع وجودة الخدمات العامة مقارنة بالخاصة، وما تأثير ذلك في فرص العمل للبحرينيين وعلى النسيج الاجتماعي، وإلى أي حد تؤثر هذه الظاهرة في بناء رأس المال البشري والاجتماعي متجانسا ومتماسكا، وكيف ستتم عملية التقييم والدراسة؟

من أهم ما ورد في الرؤية ٢٠٣٠ موضوع مستوى المساواة في الدخل وتكافؤ الفرص. التقدم في هذه المستهدفات له تأثير كبير في بناء رأس المال الاجتماعي لمساهمتها الكبيرة في تعزيز الثقة في المجتمع والتقليل من أوضاع فردية ومجتمعية مثل الصحة والتعليم والعدالة الاجتماعية، كما تُبين العديد من الأبحاث العلاقة بين المساواة في الدخل والتعليم وتكافؤ الفرص وبين العديد من القضايا الاجتماعية والأمور التي تتأثر بالمساواة في الدخل والتعليم وفي الحصول على الفرص وفق معيار الكفاءة والجدارة، كما ورد في كتاب الميزان الزئبقي (The Spirit Level) للكاتبين (Wilkinson and Picket, ٢٠١٠). لذلك نرى أن يستمر هذا التركيز في رؤية ٢٠٥٠ وتوضع لها المعايير والمؤشرات الملائمة.

بشكل عام في سعينا لوضع رؤية ٢٠٥٠ نحتاج إلى تحليل عميق يشترك فيه أكبر قدر ممكن من شرائح المجتمع لإبراز التحديات التي واجهت تحقيق أهداف الرؤية ٢٠٣٠ ومعرفة أي معوقات أثرت على تحقيق هذه الأهداف ووضع المعالجات المناسبة، وهذا ما بينه سمو ولي العهد رئيس الوزراء الأمير سلمان بن حمد آل خليفة. قد يتطلب الأمر إعطاء جانب المستهدفات والمبادرات والمؤشرات مزيدا من الجهد نحو التكاملية وأن تشمل جميع الجوانب المؤثرة في النتائج. فمثلا تكلمت الرؤية عن بناء وتوسعة الطبقة الوسطى، هذا جانب مهم ينبغي وضع الاستراتيجيات والبرامج لرفع مستوى وفاعلية الطبقة الوسطى بعد تحديد فاعليتها اليوم. كما أن المؤشرات الخاصة بالتعليم تتطلب إبرازا لتقديم صورة واضحة عن تطور التعليم ومدى مواءمته مع سوق العمل وحاجة المجتمع.

drmekuwaiti@gmail.com

اليابان تعاني من آثار مشكلة بيئية عمرها ١٠٠ عام

بقلم:
د. إسماعيل محمد المدني

أمرتْ محكمة يابانية في مقاطعة نياجاتا (Niigata) في ١٨ أبريل ٢٠٢٤ شركة «روزونـاك القابضة» (Resonac Holdings) دفع مبلغ ١٠٤ ملايين ين ياباني، أو قرابة ٢٦٠ ألف دينار بحريني إلى ٢٦ يابانيا من الذين تضرروا من حالة مرضية غامضة أُطلق عليها «مرض مينماتا» (Minamata Disease)، وهم الذين عانوا من شدة آلامها، وقسوة تأثيرها في أجسامهم جسديًا وعقليًا ونفسيًا. وهذه ليست أول مرة، وليست الحالة الأولى، ولن تكون حتما الحالة الأخيرة التي تُحكم فيها المحكمة اليابانية للتعويض المالي للذين سقطوا في شباك هذا المرض الغريب.

وعندما نقرأ عن مثل هذه الأخبار نظن أن هذه الحالات المرضية التي أصابت شريحة كبيرة من المجتمع الياباني حديثة العهد، وأنها قد وقعت قبل سنة، أو حتى قبل عقد من الزمن، فلا نتصور أنها من الماضي الغابر البعيد، وأن خيوطها بدأت تنسج وتظهر فوق السطح قبل أكثر من مائة عام، أي منذ مطلع العشرينيات من القرن المنصرم.

فمثل هذه الحالات تؤكد لنا أن بعض الأمراض التي يتعرض لها الإنسان قد لا تموت، وتبقى حية تنبض بالحياة في المجتمعات البشرية، وقد تستمر فيها خالدة أبد الدهر.

فمرض مينماتا يُقدم مثالاً حيا واقعيًا على مثل هذه الحالات المرضية المستدامة التي تبقي جذورها قوية وصلبة ومتغلغلة في شرايين المجتمعات التي تُصاب بها.

فبذور هذا المرض الخبيث تم نشرها وزرعها في البيئة البحرية الساحلية في مدينة مينماتا قبل أكثر من قرن عندما قام مصنع «شيسو للمواد الكيميائية» بصرف مخلفات سائلة إلى خليج مينماتا، وكانت تحتوي على واحد من أخطر العناصر السامة التي يعرفها الإنسان الآن، وهو عنصر الزئبق، أو الزئبق غير العضوي الذي لا يتحلل، وثابت ومستقر في مكونات البيئة. ومع الأيام، ومع ازدياد الصرف الصناعي المحتوي على الزئبق، حدثت ظاهرة أخرى جديدة كانت غائبة عن علم الإنسان، وهي أن هذا الزئبق غير العضوي تحول في التربة القاعية للبحر ومع وجود البكتيريا اللاهوائية إلى ما هو أخطر منه، وأشد وطأة وتنكيلاً بصحة الإنسان، وهو الزئبق العضوي، وبالتحديد ميثيل الزئبق. ومن الخصائص غير المرغوبة والسلبية لهذا المركب العضوي الفلزي أنه لا يتحلل ويبقى على ما هو عليه، ويبدأ في التراكم في التربة القاعية البحرية، وينتقل رويداً رويداً وفي سرية تامة إلى الكائنات النباتية (الفيتوبلانكتون)، ثم إلى الكائنات الحيوانية الصغيرة الحجم (الزوبلانكتون)، وبعدها عبر السلسلة الغذائية البحرية إلى الأسماك الكبيرة التي يستهلكها الإنسان والحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب. وهذه العملية التراكمية وزيادة التركيز مع الوقت استغرقت قرابة ثلاثين عاماً حتى وصل تركيز الزئبق على مستويات مرتفعة في الأسماك بحيث تحول إلى سم قاتل عرَّض الإنسان والقطط والحيوانات الأخرى لأعراض مرضية كانت غريبة وفريدة من نوعها في ذلك الزمن، وبالتحديد في مطلع الخمسينيات من القرن المنصرم، فأصابت بشكل خاص الجهاز العصبي المركزي، والعظام، وضعف في البصر، وهوان في العضلات، إضافة إلى الإصابة بالشلل، ثم الموت.

ومع الوقت أخذت الحالات الغامضة تزداد يوماً بعد يوم، كما أن الذين قضوا نحبهم بسبب هذا المرض الغريب ارتفع بشكل مرعب ومخيف يدعو إلى القلق العميق من وجود وباءٍ ما لا يعرف أحد أي تفاصيل عنه، مما اضطر العلماء والأطباء من مختلف التخصصات إلى إعلان حالة الطوارئ البحثية وإجراء الدراسات المعمقة. فشمر الجميع عن ساعديه لحل هذا اللغز المحير والعصيب، وفك أسراره وخيوطه. وهذه العملية المضنية والمعقدة استغرقت أكثر من ثلاث سنوات حتى اكتشف العلماء أن المتهم هو تناول المأكولات البحرية التي كانت ملوثة بالزئبق، وأن مصدر الزئبق هو مخلفات المصنع السائلة.

ولم ينته الوباء عند هذا الحد، وإنما اكتُشفت هذه الأعراض المرضية على المولودين حديثاً، حيث تأكد من الفحوصات التي أُجريت للأطفال أن أجسامهم ملوثة بالزئبق وبنسبة مرتفعة جداً، مما يعني أن هذا الزئبق لا يتراكم في مكونات البيئة فقط، ولا ينتقل عبر السلسلة الغذائية البحرية فحسب، وإنما ينتقل من الأم إلى جنينها أثناء وجوده في رحم أمه. أي أن للزئبق خاصية الانتقال المباشر بين الجيل الواحد، والأجيال المتلاحقة، ولذلك نجد أن هذا المرض مازال حيا في المجتمع الياباني، وترثه الأجيال أباً عن جد، فمازالت روحه تنبض بالحياة حتى بعد مضي أكثر من ١٠٠ عام على أول مشهد للكارثة البيئية الصحية العامة وأول خطوة زرعها الإنسان لنمو هذه الشجرة الخبيثة التي امتدت جذورها قوية ومتشابكة في قلب المجتمع.

ونظراً إلى هول هذه الطامة الكبرى على المجتمع الياباني خاصة، والمجتمع الدولي عامة، فقد حدثت عدة أمور تؤكد شدة وطأتها وعمق تأثيرها وتغلغلها في كل دول العالم حتى يومنا هذا. ومن هذه الأمور هو موافقة دول العالم على معاهدة دولية مشتركة ومتخصصة للتصدي لهذا العنصر الخبيث تحت مسمى «معاهدة مينماتا». وتهدف هذه المعاهدة الدولية إلى إدارة هذا العنصر الخطير بأسلوب مستدام، والحد من إنتاجه وتسويقه، وتنظيم وتقنين ولوجه إلى مكونات بيئتنا المختلفة. كما أن اليابان وبعض دول العلم تحيي يوماً واحداً من كل عام لتخليد ذكرى هذه الكارثة، وبنت اليابان نصباً تذكارياً لضحايا هذا المرض القاتل. كذلك اعتذر رئيس الوزراء الياباني عدة مرات وفي مناسبات مختلفة عن وقوع هذه الكارثة التي هي من صنع الإنسان ومن صنع أيدينا، وتؤكد تقصيرنا وتجاهلنا لهموم بيئتنا، والتعدي باستمرار على حرماتها. كذلك وفي الوقت نفسه تم تأليف كثير من الكتب والأفلام الوثائقية، إضافة إلى فيلم من هوليود تم عرضه في عام ٢٠٢٠.

فهذه الكارثة التي وقعت قبل قرن في اليابان، وما زالت تداعياتها قائمة ومستمرة حتى الآن، قد تحدث في أية دولة، فليس هناك أي مجتمع بمنأى عن مثل هذه الحوادث المؤلمة، لأنها قد تقع بسبب ممارسة يحسبها البعض بسيطة جداً ويمكن تجاهلها وغض الطرف عنها، وهي السماح للملوثات في الانطلاق بحرية إلى عناصر بيئتنا، وإعطائها الفرصة الكافية لكي تنمو، وتترعرع ويرتفع تركيزها مع الزمن، وتتراكم وتتضخم في البيئة أولاً، ثم في السلسلة الغذائية ثانياً، حيث يكون الإنسان على رأس هذا الهرم الغذائي، فيتسمم ويمرض، وقد يلقى نحبه فيُنقل إلى مثواه الأخير تحت الثرى.

ismail.almadany@gmail.com

أذربيجان وجهة سياحية جاذبة

بقلم:
د. نبيل العسومي

زرت جمهورية أذربيجان هذه الجمهورية السوفيتية السابقة الواقعة في منطقة القوقاز على بحر قزوين الغني بالنفط بالقرب من إيران التي شكلت اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية مع أربع عشرة جمهورية أخرى على مدار أكثر من سبعة عقود من الزمان كدولة مترامية الأطراف شكلت ثلث الكرة الأرضية بمساحة تزيد على ٢٢ مليون كيلومتر مربع بعدد سكان تجاوز ٢٨٦ مليون نسمة تجمعهم اللغة الروسية كلغة رسمية للدولة السوفيتية قبل انهياره المدوي في بداية تسعينيات القرن الماضي.

جمهورية أذربيجان حالها حال الجمهوريات السوفيتية السابقة عاشت مرحلة انتقالية صعبة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في بداية التسعينيات من القرن الماضي، كما أسلفنا، حيث سادت الفوضى وغاب الأمن والاستقرار وسيطرت المافيا على مفاصل الدولة الأذربيجانية، لكنها استعادت عافيتها بفضل الإجراءات التي اتخذها أول رئيس لجمهورية أذربيجان بعد استقلالها عن الاتحاد السوفيتي السيد حيدر عليف، هذه الشخصية السوفيتية المرموقة الذي كان عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي أيام الاتحاد وكان من أبرز المرشحين لتولي منصب السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي قبل اختيار ميخائيل غورباتشوف للمنصب حتى انه يقال لو اختير حيدر عليف للمنصب لما انهار الاتحاد السوفيتي. وبعد ان عاد إلى أذربيجان في أعقاب انهيار الاتحاد السوفيتي وبسبب ظروفه الصحية ومرضه سلم السلطة قبل وفاته إلى ابنه الهام عليف الذي لا يزال رئيسا للجمهورية.

لم أزر جمهورية أذربيجان خلال دراستي في الاتحاد السوفيتي رغم أنه كان بإمكاني زيارتها لكن ظروف الدراسة وكثرة خيارات السفر المتعددة للمدن السوفيتية حالت دون ذلك، إلا انني خلال الفترة الأخيرة سمعت الكثير عن هذه الجمهورية كوجهة سياحية من الذين زاروها ضمن الرحلات السياحية التي تنظمها شركات السفر والسياحة البحرينية بأسعار تنافسية ورحلات مباشرة في إطار التسهيلات التي تقدمها جمهورية أذربيجان لتشجيع السياحة، لتكون رافدا مهما من روافد زيادة الدخل القومي للبلاد ومصدرا من مصادر تنويع الدخل لدعم الميزانية العامة للدولة.

وبمجرد أن تطأ قدمك مطار باكو تشعر بالتسهيلات التي تقدمها الدولة لتسهيل عملية الدخول الى البلاد من حيث إنهاء إجراءات استخراج الفيزا أو سرعة إتمام إجراءات الدخول.

أما مدينة باكو عاصمة الجمهورية، فهي أحد أهم المقاصد السياحية تجمع بين النمو السوفيتي والنمو الحديث المعاصر، ففي باكو لا تزال مباني الحقبة السوفيتية موجودة شاهدة على تلك المرحلة التي عاشتها الجمهورية في كنف الدولة السوفيتية. وفي باكو ترى المباني الشاهقة المبنية وفق النمط المعماري الحديث لتشكل تحفة معمارية تفخر بها المدينة لتكون مقرا للشركات والمؤسسات المحلية والأجنبية التي اختارت أذربيجان لاستثماراتها.

الشعب الأذربيجاني حاله حال بقية الشعوب السوفيتية منقسم بين الجيل السوفيتي إن صح التعبير الذي عاش المرحلة السوفيتية والجيل الجديد الذي ولد بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ولا يعرف شيئا عن هذه الدولة إلا من خلال أحاديث الآباء والأجداد ومن خلال كتب التاريخ.

جيل المرحلة السوفيتية لا يزال يتذكر دولة السوفييت ويحن الى ذلك الزمن الجميل، إذ كانت الدولة السوفيتية تؤمن لهم حياة مستقرة وهانئة للمواطن السوفيتي، حيث الوظيفة المضمونة والتعليم والمجاني من الروضة إلى الجامعة والرعاية الصحية المجانية، حيث تعج المدن والقرى والاقاليم والمقاطعات السوفيتية بالمراكز الصحية والمستشفيات والحصول على الشقة بأسعار رمزية والكهرباء والماء شبه المجانية وأسعار السلع الرخيصة التي في متناول كل مواطن.

وأول ما يلفت نظرك وانت تزور باكو غياب اللغة الروسية، حيث لا وجود لهذه اللغة التي كانت اللغة الأولى أيام الاتحاد السوفيتي، فكل الكتابات باللغة الأذربيجانية أو الإنجليزية، الشباب لا يتقن اللغة الروسية التي كانت أيام الاتحاد السوفيتي المفتاح الذي من خلاله يمكن الولوج إلى المناصب والترقي، أما المدارس والجامعات فقد أصبح التدريس فيها باللغة الأذربيجانية بدلا من الروسية.

ما يثير الانتباه في جمهورية أذربيجان هو التسامح الديني الذي يتمتع به المجتمع الاذربيجاني بالذات التسامح بين المذاهب حيث المساجد المشتركة والصلوات المشتركة لا توجد مساجد لهذا المذهب أو ذاك كلها مساجد وجوامع مشتركة يؤمها المصلون من مختلف المذاهب في إطار التسامح الديني.

تتمتع جمهورية أذربيجان بأجواء لطيفة ومناخ معتدل وأسعار معقولة ومعالم سياحية تجذب السائح الخليجي وبرامج ترفيهية تناسب الجميع وتضم العديد من المتاحف الوطنية ودور الأوبرا والسينما والمسارح والنوادي الليلية التي يرتادها الشباب، ولذلك كان الاقبال كبيرا من قبل السياح الخليجيين لزيارة الجمهورية والتسوق في المجمعات التجارية والأسواق الشعبية التي تعج بالبضائع الرخيصة.